

## إيران . أميركا 2020 سنة مواجهات أم... مفاوضات؟

ما كادت سنة 2020 تنقل حتى دهمها حدث اغتيال قائد فيلق القدس اللواء قاسم سليماني في بغداد، بأمر من الرئيس الاميركي دونالد ترامب. حدث كبير وخطير خلط الاوراق ووضع المنطقة على فوهة بركان، واوصل المواجهة الايرانية - الاميركية الى مفترق طرق: اما تنزلق المنطقة الى حرب شاملة او تتجنح الى اتفاق جديد

قاسم سليماني شخصية ايرانية استثنائية وقيادية. عمليا، على ارض الواقع، كان اهم شخصية في الجمهورية الاسلامية بعد المرشد الاعلى السيد علي خامنئي، متمتعا بكاريزما قيادية وشعبية واسعة. كان خارج ايران الرجل الاقوى والشخصية الايرانية الرقم واحد من دون منازع. اذ ان دوره ومهامه وسلطته اكبر وابعد من موقعه الرسمي كقائد لفصيل عسكري هو فيلق القدس، فكان مهندس ورأس حربته المشروع الايراني في المنطقة، والعقل المدبر والمخطط والمنفذ لعملية تصدير الثورة الاسلامية وتوسع ايران وتمددتها في المنطقة، واقامة الرابط الجغرافي الاستراتيجي من طهران الى شاطئ المتوسط، مروراً ببغداد ودمشق وصولاً الى بيروت، واحاطة اسرائيل من ثلاث جهات في الجنوب (غزة) والشمال (لبنان وسوريا)، بتهديدات وشبكات صاروخية.

ولأن سليماني كان على هذا القدر من الهمية والقيمة الاستراتيجية، كان له هذا التشيع الاسطوري الذي امتد من جنوب العراق الى مدن ايران، منتقلاً لثلاثة ايام وسط احتشاد الالوف من الاهواز ومشهد وقم الى طهران وكرمان مسقطه. ولأنه كذلك، فان ايران لم يكن في امكانها ان تتغاضى وتسكت، خصوصاً وأنه كان اغتيال اميركي الذي لم يتردد ولم يتأخر في تبني هذه العملية، ولم يحاول التخفيف من وقعها ووطأتها، ما يعني انه اتخذ قراراً جريئاً او متهوراً لم يقدر عواقبه، او انه تعمد دفع المواجهة مع ايران الى مستويات جديدة متقدمة، والانتقال من حرب الوكالة (عبر الاميركي على ارض العراق، بدأ قبل ثلاثة

وتكريس العراق ساحة اساسية للمواجهة المقبلة، بعدما سقط كساحة تعايش ومساكنة. اغتيال سليماني شكل مفاجأة لكل الدول ولايران في الدرجة الاولى، حيث كان له وقع الصدمة الشديدة. فالخسارة فادحة وفراغ سليماني من الصعب ان يملأ. اقدام ترامب على هذه الفعلة لم يكن متوقعا، وربما اعتقد الايرانيون ان ترامب يكتفي بسياسة الضغوط الاقتصادية القصوى، وأنه لا يريد الحرب ولا يقدم على ما يمكن ان يتسبب في اشعالها. هذا ما فعله عندما سكت عن اسقاط طائرة استطلاع اميركية العام الماضي واحجم عن الرد. يمكن القول ان خطأ ايرانيا في تقدير وضع ترامب وسياسته لجهة الاعتقاد انه لن يدخل في مغامرة في سنة الانتخابات، قد حصل، وان هذا التقدير السياسي - الاستراتيجي كان في اساس حالة الاطمئنان والاسترخاء لدى الجنرال سليماني في تنقلاته وتحركاته التي لم تهدأ بين بغداد ودمشق وبيروت.

اصدار ترامب امر اغتيال سليماني شكل مفاجأة لناحية نوعية الاستهداف والهدف الثمين والتبعات والتداعيات. لكن هذا القرار او التطور لم يكن مفاجئاً في سياق تطور الاوضاع في العراق في الفترة الاخيرة، والتي ادت الى ارتفاع درجة التهديدات من جانب الاميركيين لايران التي لم تأخذها على محمل الجد، ولم تتوقع ان تنفذ واشنطن تهديداتها وان يكون ردها على هذا المستوى.

عملية اغتيال سليماني كان لها مقدمات مسبوقة بتصعيد في نمط الصراع الايراني - الاميركي على ارض العراق، بدأ قبل ثلاثة اشهر عندما اندلعت تظاهرات شعبية غاضبة وضعتها ايران في اطار مؤامرة اميركية لضرب نفوذها عبر اسقاط حكومة الرئيس عادل عبد المهدي وزرع الشقاق داخل القوى الشيعية وبين بعض فصائلها وايران. ثم راحت الامور تتطور في اتجاه امني وعسكري بين الجانبين، مع قيام الطائرات الاميركية باستهداف مواقع للحشد الشعبي ولحزب الله العراقي. في المقابل، تم استهداف قاعدة اميركية في كركوك وسقط قتيل اميركي (مدني متقاعد)، وطوق متظاهرون السفارة الاميركية في بغداد، وهو ما ايقظ لدى واشنطن هاجس احتلال السفارة الاميركية في طهران في بدايات الثورة الايرانية.

ادعى الاميركيون وجود مخطط كان سليماني قد اشرف على اعداده، ويقضي بهاجمة القواعد الاميركية في العراق، ليبرروا الاغتيال ويوحوا انه كان مثابة ضربة وقائية استباقية. اي ان واشنطن شعرت انها تواجه تحدياً ايرانياً متزايداً في العراق، وقررت الرد باغتيال سليماني ليكون هذا الاغتيال اكبر تحد تواجهه ايران في تاريخ علاقتها مع الولايات المتحدة في العراق منذ العام 2003. هذه العلاقة التي استمرت لسنوات طويلة تحت سقف المساكنة وتحولت منذ وصول ترامب الى البيت الابيض الى مسار صراع، ثم انتقلت بعد اغتيال سليماني الى مواجهة مفتوحة.

اختارت ادارة ترامب ان يكون العراق هو الساحة الاسخن لترويض الخصم الايراني، ما وضع الطبقة السياسية الحاكمة هناك امام احرجات لها اول وليس لها آخر. اما ايران، فانها اختارت عنواناً وهدفاً لمعركتها



قاسم سليماني قائد مشروع ايران في المنطقة وفراغه لا يملأ بسهولة.



اغتيال سليماني فتح باب المواجهة المباشرة وطوى صفحة حرب الوكالة.

### إيران امام مفترق طرق حساس وثلاثة خيارات



هو اخراج اميركا من العراق. وازافت الى ذلك عنواناً اشمل هو اخراج اميركا من كل المنطقة، من غرب اسيا الممتد من لبنان الى افغانستان. واعطت ايران اكثر من اشارة الى ان ردها لا يقتصر على ضربة انتقامية عاجلة، وانما تخطط لرد استراتيجي طويل الامد، وان العراق سيكون اول ميادين المعركة، وان ضغطاً كبيراً سيمارس على

الوجود الاميركي هناك للاحاق خسارة استراتيجية بواشنطن. بالتالي، فإن العراق هو ساحة المواجهة الرئيسية بين ايران والولايات المتحدة. ايران التي افادت مما حصل لتوحيد صفوف الشيعة من حولها ولوآد الانتفاضة الشعبية وانهاء ازمة الحكومة وتأليب البرلمان العراقي ضد الوجود الاميركي. اما الولايات المتحدة فتواجه تغييراً على ارض العراق، وتضيقاً على وجودها ومصالحها وتهديداً لامن جنودها.

قبل اغتيال سليماني كانت التظاهرات الشعبية ضد الوجود والنفوذ الايراني، بعد الاغتيال صارت الاجواء العامة (خصوصاً الشيعية) ضد الوجود والنفوذ الاميركي.

قرار ترامب اغتيال سليماني وشطبه من المعادلة العسكرية والسياسية في المنطقة، والذي نفذ في سياقات اقليمية بالغة الدقة، وما تلاه من رد فعل ايراني صاحب وغازب ترجم سريعا باستهداف قاعدة اميركية في العراق. هذه التطورات اوجدت حالة من القلق الشديد من ان يكون هذا التصادم الاميركي - الايراني مدخلا الى حرب مفتوحة، بحيث تصبح منطقة الشرق الاوسط ساحة مواجهة شاملة مركزها العراق، ويكون اغتيال سليماني قد طوى مرحلة الصراع بالواسطة، ووضع الطرفين امام استحقاقات خطيرة قد تفضي الى حرب واسعة النطاق بين طهران ومحور المقاومة من جهة، والولايات المتحدة وحلفائها من جهة اخرى. هذا القلق انحسر الى درجة كبيرة وتلاشى لمصلحة استبعاد الحرب الشاملة والمفتوحة، فيظل التصعيد العسكري تحت السيطرة ومحصوراً في نطاق العراق، وتظل المواجهة بين الدولتين ضمن ضوابط وقيود. هذا التحول، من الخوف الشديد ان يكون الشرق الاوسط قد اصبح على فوهة بركان الى القلق النسبي والمشروع، حصل للأسباب التالية:

1- الرد الايراني المحسوب والمدروس على اغتيال سليماني، والذي لم يكن على قدر التوقعات والتهديدات، او في مستوى حدث الاغتيال وما عناه من خسارة استراتيجية ◀

## من هو قآني او الحاج اسماعيل؟

الاختيار السريع للعميد اسماعيل قآني خلفا للواء قاسم سليمان من المرشد الاعلى علي خامنئي، يدل على الثقة الكبيرة التي يتمتع بها هذا الرجل، خاصة وان المرحلة المقبلة ستكون مرحلة قاسية تتطلب رجل المهام الصعبة.

تنقل قآني بين مناصب عدة ذات مهام أمنية - استخبارية في هيئة الاركان المشتركة للحرس الثوري. لذا يمكن القول ان العميد قآني يملك خبرة 40 عاما في مجال القتال الميداني العسكري، وخبرة واسعة جدا في الميدان الامني الاستخباري، علما بأن قلة من القيادات العسكرية في ايران تحمل هذه الصفات. تعرض لاصابات متعددة في عينه وقدمه واماكن اخرى من جسمه خلال الحرب العراقية-اليرانية.

قبيل حرب تموز في لبنان عام 2006، اختاره اللواء سليمان لينضم الى قوة القدس كقائد لها، وهي القوة الدافعة لمحور المقاومة والداعم الاساسي له، لوجستيا وماديا وعسكريا.

مع بداية الاحداث السورية وظهور تنظيم داعش والمجموعات الارهابية على مساحة الاقليم، كان العميد قآني موجودا الى جانب سليمان على كل جبهات القتال، وبعيدا من عين عدسات الكاميرا التي كانت ترصد وجود سليمان على امتداد الجبهات، فيما اخذ قآني وقتها لقب قائد في الظل.

حاج اسماعيل، كما يناديه المقربون منه، كان ولا يزال يتجنب الاضواء. معروف بجديته وحذره الشديدتين. مشرف على كامل ملفات المنطقة. بسبب حساسية عمله وانشغاله، دائما ما فضل الابتعاد عن الاعلام والتصريحات العلنية، ما جعل الكثيرين خارج ايران يسمعون باسمه للمرة الاولى، علما انه شخصية معروفة جدا في اوساط الحرس الثوري وعند حزب الله.



اغتيال سليمان جعل من ايران ناخبا خارجيا اساسيا في الانتخابات الاميركية.

لها. وهذا يندرج في اطار الرد الاستراتيجي الذي يلي الرد الانتقامي، ويهدف الى اخراج الاميركيين من العراق، والى خفض فرص ترامب في الانتخابات الرئاسية، بعدما جعل من ايران (باغتيال سليمان) ناخبا خارجيا اساسيا في هذه الانتخابات. بعد 3 كانون الثاني 2020، اليوم الذي اغتيل فيه سليمان، تقدم خيار الحرب ولكنه ما زال ضعيفا ومستبعدا، لأن الكل يتهيّب كلفة الحرب ومخاطر خروج المنطقة عن السيطرة وتراجع خيار المفاوضات. لكنه ما زال موجودا في مخيلة وتقدير من يعتقد ان شطب سليمان من المعادلة ازاح عقبة اساسية من طريق المفاوضات التي تصدى لها الحرس الثوري وصقور النظام وفي مقدمهم قاسم سليمان. النتيجة ان خيار لا حرب ولا مفاوضات هو الذي يسود هذا العام وحتى نهاية عهد ترامب. الايرانيون الذين اتخذوا قرار الرد الاستراتيجي الطويل الامد، يمارسون سياسة الصبر الاستراتيجي، ويمتلكون قدرة الصمود حتى الانتخابات الرئاسية الاميركية، ويتحينون فرصة سقوط ترامب ويدعمونها. اما اذا فاز ترامب بولاية رئاسية ثانية، فلكل حادث حديث.

الى الحرب لا يعني تقدم احتمالات الذهاب الى المفاوضات. بالنسبة الى ايران، اغتيال سليمان اسقط المساكنة مع اميركا في العراق، واسقط الخطوط الحمر والحرب بالوكالة، وفتح باب المواجهة المباشرة التي تستمر فيها ايران على الساحة العراقية عبر عمليات وهجمات تقوم بها الفصائل العراقية الموالية

واسرائيل في سوريا يمكن ان يتصاعد الى مواجهة واسعة النطاق.

- الثاني يتعلق بشن حرب وقائية ضد حزب الله من جانب اسرائيل التي يجب ان تكون مستعدة للتصعيد ولحرب كهذه (علما ان الجيش الاسرائيلي اجري في العام 2019 الكثير من المناورات على الجبهة الشمالية وحيانا في قبرص شملت محاكاة هجوم حزب الله واستيلائه على تجمعات سكنية حدودية). في تقديرات سياسية ان الاضطرابات على الحدود الشمالية يمكن ان تتأثر بالتطورات في ثلاث مناطق: الاستفزازات الايرانية في الخليج والاحتجاجات في لبنان والعراق على التدخلات الايرانية، الاحتجاجات في ايران، المشاكل والمتاعب القانونية والسياسية لرئيس الحكومة الاسرائيلية بنيامين نتنياهو.



اليرانيون لم يتوقعوا مثل هذا القرار المتهور من الرئيس الاميركي.

على الارجح لن يكون رد اميركي اذا اقتصر الرد الايراني على هذا الهجوم الصاروخي، فتقف الامور عند هذا الحد ولا يدخل الوضع في دائرة الحرب وحلقة الردود المتبادلة والمضادة. لكن هذا لا يعني ان العلاقة والاجواء بين ايران والولايات المتحدة تغادر حال المواجهة وتعود الى المساكنة. كما ان تراجع احتمالات الذهاب

الاميركي - الايراني وحصره والحوّل دون تحوله الى شرارة لحرب في المنطقة. هذه التحركات قامت بها تركيا وباكستان ودول اوربية، في وقت كانت السعودية الفلقة من حرب تطاولها تلتمس التهدئة من الاميركيين، وكان العراق الخائف من تحوله ساحة حرب يفعل الشيء نفسه مع الايرانيين.

## التقدير العسكري الاسرائيلي لعام 2020

في التقديرات الاسرائيلية لعام 2020، وتحديدًا تلك الصادرة عن معهد القدس للاستراتيجية والامن، برز اثنان عسكريان:

- الاول يتعلق بتصاعد المواجهة مع ايران على خلفية المسارين النووي والاقليمي. عكس هذا التقدير اقرارا مباشرا بفشل الرهان على الولايات المتحدة في ردع ايران عن مواصلة المسارات التي شهدناها خلال العام 2019. اوصى المعهد بضرورة الاستعداد العسكري لمعالجة اسرائيلية مستقلة لمواجهة سيناريو تقدم البرنامج النووي الايراني، اضافة الى تواصل وتصاعد الضغوط الاميركية القصوى على ايران التي لن تبقى مكتوفة الايدي بازاء ذلك، وانما ستصعد ردها على المستويين النووي والاقليمي، وحيث ان الاحتكاك بين ايران

ليران. بدا كما لو ان الرد الايراني مصمم لتفادي وقوع اصابات بشرية في صفوف القوات الاميركية، وبالتالي تفادي التورط في حرب مفتوحة ومكلفة. عمدت ايران عبر هذا الرد الى الموازنة والتوفيق بين امتصاص واحتواء الغضب الشعبي والاستجابة لدعوات الانتقام، وبين عدم التسبب برد اميركي قوي وعدم الوقوع في فخ الحرب. هذا الرد الذي اعتبره المرشد الاعلى علي خامنئي صفة وليس ضربة، يمكن ان يكون ردا اوليا وان تكون طهران تعمل على ايهام واشنطن بانها اكتفت والتزمت الخطوط الحمر، فيما هي تؤجل توجيه ضربة موجعة الى وقت لاحق.

2- عدم حصول رد (اميركي) على الرد (اليراني). مع ان ترامب كان حذر بعد اغتيال سليمان بأن اي استهداف لقواعد ومصالح اميركية سيواجهه برد قوي. الا انه بعد الهجوم الصاروخي الايراني لم يحرك ساكنا ولم يطلق رصاصة، واعتبر ان كل شيء على ما يرام، وانه معفى من الرد طالما لم تقع خسائر بشرية في القوات الاميركية. هذا السلوك يعني ان ترامب اراد تحقيق هذا الهدف الثمين باغتيال سليمان لارباك الخطط الايرانية في العراق، معتبرا ان الولايات المتحدة استعادت عبر اغتياله مستوى من الردع مع ايران، ولا يريد الذهاب الى الحرب في سنة الانتخابات.

3- القيود التي شرع الكونغرس الاميركي في وضعها امام ترامب في حركته العسكرية مع ايران لمنعه من شن ضربات عسكرية وعمليات حربية ضدها من دون موافقة الكونغرس. عملية التصديق يقوم بها الديموقراطيون الذين لديهم مخاوف جدية من تورط ترامب في الحرب من دون وجود استراتيجية مستقبلية، والذين لم يقتنعوا بالدوافع والتبريرات التي اعطتها ادارة ترامب في شأن اغتيال سليمان، وبأنه كان يخطط لهجوم وشيك على القواعد الاميركية في العراق.

4- التحركات الدولية والاقليمية السريعة والناشطة التي حصلت لتطويق الاشتباك